تغير العصر

بدأ القرن العشرين عام ٢٠٠١ م بداية عنيفة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، غير أن عام ٢٠٠٣م أدخل القرن العشرين بلا تهيب في دوامة العنف وذلك بشن حرب العراق. هذه السنة اعتبرتها الأمم المتحدة من خلال قمة عالمية تمثل دخول البشرية في "مجتمع المعلومات" (القمة العالمية لمجتمع المعرفة، جنيف عام ٢٠٠٣م).

كان هناك قمة أخرى منذ ذلك الوقت (القمة العالمية لمجتمع المعلومات، تونس العاصمة ٢٠٠٥م)، في أوج "الحرب ضد الارهاب"، دون أن تناقش بجدية تأثير هذه الحرب على مجتمع المعرفة المخصصة لهذا الغرض في بلد عربي، في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يعاني من غليان على إثر هذه الحرب نفسها.

غير أنه خلال هذين الحدثين الدوليين (القمة العالمية لمجتمع المعرفة ٢٠٠٣م في جنيف وتونس عام ٢٠٠٥م)، كان هناك نقاش حيوي حول حتى مسمى القمة : "مجتمع المعلومات" أو بالأحرى "مجتمع الاتصال" في النهاية، انتصرت التسمية "مجتمع المعلومات". فالإتصال سوف يحين وقته وكذلك المعرفة.

إلا أن هذا كان اختياراً موفقاً لأنه أمام عدم إمكانية الاتصال بين الشمال والجنوب، فالمعلومة هي التي كانت تنتقل بسلاسة من طرف إلى الطرف الآخر من الكون. وفي الوقت الذي فيه تهز الاعتداءات بغداد هزاً عنيفاً، كانت تُناقش براحة بال في مدينة تونس مراقبة الانترنت.

أخيراً، تم الاتفاق على حماية التنوع اللغوي والثقافي، مما يتطلب الكثير من المال والوقت. لكن بسبب الحرب المستمرة على الإرهاب تم الاستقرار في مجتمع المعلومات حيث هناك قلة من الناس هي التي كانت في الحقيقة "على اطلاع ودراية بما يجري" و حيث أضحى كل واحد مخبراً دون وعي منه بذلك.

تعريف مخبر: "الشخص الذي يعطي معلومات، خاصة إلى الشرطة، مرادف: واشٍ، جاسوس[١]".

مجتمع المخبرين

منذ عام ٢٠٠٤م، روج الصحافيون الأمريكيون والمراسلون الانجليزيون والاستراليون المقيمون في العراق استخدام تعبير "الصحافة المسيرة" لكي يصفوا واقع عملهم في بلد يعيش حالة حرب جعلت من الصحافيين الأجانب أهدافا اختيارية. لكن ماهي طبيعة ذلك بالضبط؟

حتى نهاية عام ٢٠٠٣م،و بالرغم من بدايات التمرد، كان الصحافيون يستطيعون أيضاً التحرك بكل حرية في العراق والذهاب لمقابلة السكان المحليين وشيوخ القبائل لإجراء لقاء صحافي معهم. كان يرافقهم مترجم فوري عراقي ليطرح الأسئلة ولمعرفة الإجابات السليمة.

لكن لم يفتأ الوضع يتدهور حتى بلغ ذروته بقتل أربعة متعاقدين أمريكيين في الفلوجة في شهر مارس عام ٢٠٠٤م، وبالانتقامات التي توالت من الجيش الأمريكي. ومنذ هذا التاريخ، لم يعد باستطاعة الصحافيين الأجانب الذهاب للميدان لإجراء استطلاعات صحفية أو مقابلات.

في هذه الظروف، أصبح العراقيون الذين يقومون بالترجمة الفورية ليسوا مرافقين فحسب، بل تحولوا إلى مساعدين يتم إرسالهم بدلاً من الصحافيين للقيام بالتحقيقات الصحافية في مناطق البلد التي يَصُعب الوصول إليها والأكثر خطورة.

---

[١] المصدر: معجم le petit Robert. المؤلف

كان "المترجمون - المراسلون الصحافيون" - يقومون بإجراء مقابلات في الشارع، وكانوا ينظمون مواعيد مع الصحافة ووسائل الإعلام، ويحددون المواقع التي يجب تصويرها بالفيديو، وكانوا يقومون بتوطيد الأمن للمقابلات مع الصحافيين الأجانب وبتأمين نقل المعلومات لخارج مناطق الصراع المفتوح، وكانوا يقومون بتوفير التموين، وبإجراء المكالمات وبإرسال الرسائل...إلخ.

أسوة بالصحافيين، فهم كانوا مهددين ومطاردين من قبل الثوار الذين أصبح لديهم سبب إضافي بعد ذلك لمهاجمتهم، فكافة الصحافيين أصبحوا: "عينا وأذنا للأجانب في العراق". كان الصحافيون يبقون في المؤخرة في مكاتبهم المؤمنة، في حين أن المترجمين الفوريين يذهبون للجبهة بحثاً عن معلومات من المصدر، معرضين حياتهم للخطر في كل زواية وشارع وذلك لكي يستطيع الصحافيون كتابة تاريخ وقصص المترجمين.

ووضع تدريجياً نظام طبقه الصحافيون حيث يخدم به الواحد الطرف الآخر دون أن يكون أبداً صاحب العمل، ولا حتى يُشار إليه في المقالات. كانت درجة تملك العمل المنجز من قبل المترجمين المراسلين في الميدان لها علاقة بالحرمان الذي يشعر به كل مراسل أجنبي كان يريد النزول في الشارع احتكاكاً بالسكان، غير أنه لا يستطيع عمل ذلك بسبب خطورة ذلك على حياتهم.

بدرجات مختلفة من الاندماج، قد تبنت جميع وكالات الأنباء وكافة المكاتب الغربية هذا المنهج في العمل مع درجة من الشفافية إلى حد ما. وحاول بعض الصحافيين البقاء على اتصال مع الواقع العراقي بزيارة أماكن آمنة للغاية وتحت حراسة مشددة، مثل الأحزاب السياسية التي يكون مقرها مطلاً على الشارع أو النوادي العسكرية. غير أنه كان يستحيل عليهم أن يظهروا للناس أو يتقربوا من الشعب

العراقي. خاصة، أنهم كانوا ممنوعين منعاً باتاً من أحد أماكنهم المفضلة: الطرق المؤدية إلى المساجد، والتي أضحت بذلك أهدافا رئيسة عند مجموعات الثوار السُنة أو عند الميليشيات الشيعة على حد سواء.

بالطبع، كانت مدن جنوب العراق أكثر هدوءا من العاصمة، غير أنه كان يلزم عبور "المثلث السني"، الذي كان عند الأجانب مرادفاً للموت: حواجز وهمية، واعتقال رهائن، وأحياناً تعذيب وإعدام مؤكد. بل حتى التحليق بالطائرة المروحية أصبح يشكل خطورة منذ استيلاء الثوار على الأسلحة الخاصة بإسقاط الطائرات.

بذلك، أصبح "اللغويون" الذين تحولوا إلى مراسلين للحرب أكثر أهمية من الصحافيين أنفسهم. في بغداد، كان نصف مراسلي صحيفة لوس انجلوس تايمز مترجمين عراقيين، أو بصورة دقيقة مترجم واحد لكل صحافي.

تكمن المشكلة في أن المترجمين العراقيين لم يكن لديهم أي تأهيل صحافي ولايعرفون حتى مبادئ المهنة. كما كانوا يجهلون كل ما ينتظره الجمهور الأمريكي في إطار الإعلام وفي إطار الأخبار المهمة. ولم يكن لديهم أيضاً أدنى فكرة عن معنى صحافة حرة في بلد ديمقراطي، فهم لم يعرفوا إلا الديكتاتورية، سياسة طغيان وسيطرة الحزب الواحد.

أخيراً، في أغلب الأوقات لم يكن لدى المترجمين أية خبرة في مجال الترجمة ولا أي كفاءة فعلية في اللغات الأجنبية. فهم عبارة عن أفراد متعلمين بالطبع أو درسوا جزئياً اللغة الانجليزية، لكنهم أصبحوا فجأة مترجمين لكسب قوت يومهم وللنجاة في بلد تسوده الفوضى والخراب. على سبيل المثال، فإن هناك من بين "مترجمي" صحيفة لوس انجلوس تايمز في بغداد: طبيبا، و صيدليا، و طالبا في الفنون الجميلة، ومهندسا معماريا صاحب خبرة، وموظفين سابقين في وزارة الاعلام العراقية.

كل هؤلاء الأشخاص لديهم معرفة باللغة الإنجليزية ومفيدون للغاية للصحافيين في الميدان لأن بإمكانهم عدم لفت انتباه الناس إليهم، ولكنهم لا يتمتعون بالصفات الواجب توافرها للعمل، ويعرضون أنفسهم دون جدوى لخطر مؤكد؛ لأن العمل لصالح الأمريكيين يعد أسوأ الجرائم في العراق، ولأن حكم الثوار عليهم هو الموت.

مادام الأمر يتعلق بترجمة اللقاءات الصحفية أو التحقيقات الصحافية التي تقوم بها وسائل الإعلام المحلية أو ترجمة وثائق رسمية لوزارات مختلفة، فإن هؤلاء "اللغويين" بإمكانهم القيام بالمهمة. غير أن المشكلة الحقيقة تكمن في غياب تام عندهم لما يسميه مُشغلوهم "الحدس الصحافي".

هذا يعني عند الصحافيين الأمريكيين معرفة إيجاد قصة لسردها، ومتابعة تطوراتها إن أمكن ذلك، وطرح الأسئلة المناسبة لإثرائها، ومعرفة استنباط التفاصيل الصحيحة لعرضها، وإيجاد البداية الجيدة والنهاية المقنعة. باختصار، معرفة تكوين المعلومة التي تهم الجمهور الأمريكي. هذه الصفات لا تظهر فجأة، خاصة حين يفتقد الشخص أدنى تأهيل صحفي. لاسيما أن الصحافيين "الحقيقيين" المعزولين عن العالم محرومون من ذلك.

سعت العديد من المكاتب الصحافية الأجنبية جاهدة لعلاج هذا النقص وذلك بإقامة دورات تدريبية مهنية لمترجميهم المنزليين. حتى لقد نجح بعضهم في إرسال بعض أعضاء مكتبهم في بغداد لإتقان اللغة في الخارج في إطار دورات مكثفة منظمة لهذا الغرض. غير أن النتيجة كانت مخيبة لما يُنتظر من صحافي متمرس. وبالتالي، يصدر عدد قليل من المقالات عن الحرب في العراق في الصحافة الأمريكية، يرى فيها أصحاب القرار أنها "لاتجذب كثيراً الجمهور الأمريكي".

مع الوقت، كان الحل الذي عثر عليه توقيع ثنائي بل حتى ثلاثي للمقالات أو إشارة سريعة لإسهام المترجم العراقي. كان ذلك بمثابة اعتراف بالمشاركة الشخصية لهذا المترجم وتشجيعه على مواصله جهوده في مهنة في غاية الخطورة. غير أن المطاف كان ينتهي بأغلب العراقيين بطرحهم ذلك السؤال الوجودي على أنفسهم: هل من المعقول أن يخاطر الإنسان بحياته لسرد قصص على الطريقة الأمريكية؟

التضليل في وقت الحرب

نتذكر الملف "الشهير" الذي طبخه رئيس وزراء بريطانيا توني بلير والذي استخدمه جورج دبليو بوش لتبرير احتلال العراق. في ذلك الوقت قارن نواب حزب العمال - من خلال صوت سير بيتر تابسل- هذا التقرير المزور ببرقية بيسمارك الشهيرة، التي كانت وراء الحرب الفرنسية –البروسية عام ١٨٧٠م، وهي برقية معروفة باسم "برقية إمس".

كتب هذه البرقية في البداية غيوم الأول، ملك بروسيا، في شهر فبراير عام ١٨٧٠م رداً على الطلب الملح لسفير نابليون الثالث، لكي يعدل عن غروره في عرش أسبانيا، الذي مازال شاغراً. وبمجرد وصول البرقية لبيسمارك، قام بإعادة صياغة النص النهائي ونشره في الصحافة وعند السفراء الأجانب، وهذا النص أثار العقول وأشعل العملية التي لا رجعة فيها لحرب عام ١٨٧٠م. بطبيعة الحال، نُقل لنا نص هذه البرقية كما نشره بيسمارك، وها هو النص:

"برلين، ١٣ يوليو مساءً"

بعد ما وصل رسمياً خبر تنحي ولي عهد هوهنتسولرن إلى الحكومة الامبريالية الفرنسية عند طريق الأسبان، السفير الفرنسي طلب أيضاً من جلالة الملك إمس أن

يأذن له بإرسال برقية إلى باريس بأن جلالة الملك سوف يلتزم مستقبلاً برفض اتفاقه دائماً إذا كان على آل هوهنتسولرن تجديد ترشيحهم.

على إثر ذلك، رفض جلالة الملك أن يستقبل مجدداً السفير الفرنسي، وقال له عن طريق ضابط الصف المناوب برتبة دنيا أن جلالة الملك لم يعد لديه ما يقوله للسفير. قوموا بنشر ذلك للخارج".

نُشرت هذه البرقية في عدد خاص في ١٣ يوليو ١٨٧٠م في ألمانيا وفي انجلترا. وقامت الصحافة الباريسية بتناولها للمرة الثانية في ١٥ يوليو واعتبرتها إهانة لفرنسا. والتعبير الذي اعُتبر أنه إهانة لفرنسا هو التالي: "عن طريق ضابط الصف المناوب بُرتبة دنيا".

هذا مثير للدهشة كما يبدو. إلا أن الموضوع يكمن في ترجمة سيئة تعزى بالكامل لجهل خيالي للغة الألمانية: «adjutant» تعني بالألماني "معاون" وهو ضابط صف برُتبة عليا. وعلى سبيل المثال كلمة «adjutant» المقصودة فالمقصود بها الأمير الألماني راديزول ولا تمت بأي صلة لـ «adjudant» باللغة الفرنسية والتي تعني ضابط صف بُرتبة دنيا. ولكن المعلومة، بترجمتها ونشرها بهذه الطريقه للرأي الدولي، لم يكن لها إلا جرح لمشاعر ولأحاسيس القادة الفرنسيين الذي لم يتوانوا عن إعلان حرب ١٩ يوليو ١٨٧٠م. إذن، ليس من المبالغة تأكيد أن الحرب التي وضعت حداً للامبراطورية الثالثة تعزى لخطأ في الترجمة.

المذهب الأمريكي الجديد

في الظروف الجديدة التي يسميها العسكريون "الحرب غير المتكافئة"، تكون الحاجة إلى اللغة الاجنبية خاصة ضرورة لجمع المعلومات، التي تمثل السلاح الحقيقي

لاستباق وتفادي الأحداث الإرهابية قبل تنفيذها. من هذه الزاوية، فمصادر الجيوش محدودة والإمكانات المتوفرة للتأهيل اللغوي للعسكريين لا تلبي متطلبات جمع معلومات فاعلة وموثوقة.

بالتالي، ينبغي تطوير المصادر القابلة لذلك خارج الإمكانيات المعتادة للوكالات الأمنية. بالطبع يبقى التقصي البشري عن المعلومات حجر الزاوية للعمل الوقائي، غير أن الكم الهائل للمعلومات التي ينبغي التعامل معها والحاجة الطارئة تتطلب إقامة حلول جديدة لمواجهة هذه التحديات.

تم تصور واحد من الحلول الأكثر ابتكاراً في أعقاب عشية الحادي عشر من سبتمبر، على إثر تبني وثيقة باتريوت عام ٢٠٠١م. أنشئت بنية جديدة فيدرالية للتقصي عن المعلومات تكمن خصوصيتها في سد النقص الكبير عند الوكالات الموجودة، و منها مسار "معلومات لغوية". مهمة هذا الجهاز الجديد الذي أقيم في شهر فبراير عام ٢٠٠٣م بميزانية سرية، هو "تقديم ترجمات دقيقة وصحيحة عن الاستخبارات الاجنبية لمجموع مجتمع الاستخبارات" (وثيقة باتريوت الولايات المتحدة، أ ١).

يضم "مجتمع الاستخبارات" هذا الوكالات الأمريكية التالية: NSA (وكالة الأمن الوطني)، و CIA (وكالة الاستخبارات المركزية)، و FBI (مكتب التحقيقات الفيدرالي)، و DIA (وكالة استخبارات الدفاع)، و AI (استخبارات الجيش)، و AFI (استخبارات القوات الجوية)، و NI (استخبارت البحرية)، MCI (استخبارت قطاع البحرية)، و NRO (مكتب الاستطلاع الوطني)، و DHS (وزارة الأمن الداخلي).

إن اسم المؤسسة الجديدة الفيدرالية واضح فيما يخص عملها وأهدافها المعلنة وهو مركز الترجمة الافتراضي الوطني (NVTC). وتهدف كلمة "وطني" إلى غطاء جغرافي لكل الولايات الأمريكية و إلى تكوين "شبكة على الانترنت" واسعة. كما

يوضح ذلك الشعار الذي تم اختياره "خريطة الولايات المتحدة مربوطة بفتحات متصلة مع بعضها البعض". وكلمة "افتراضي"، تهدف إلى إنشاء شبكة اتصالات تقوم على بنية الانترنت والتي تتيح العمل عن بعد. تهدف كلمة "ترجمة" إلى متابعة متعددة اللغات[٢] تتم بصورة دقيقة للغاية من خلال جمع وثائق في لغات أجنبية وترجمتها نحو الإنجليزية الأمريكية. أخيراً، تهدف كلمة "مركز" إلى فكرة المركزية، أي من نقطة بؤرة إرسال وتقارب الوثائق لنشر المعلومة بصورة أفضل إلى مختلف أجهزة الاستخبارات المعنية. تحدد هذه الفكرة على حد سواء بنية الشبكة المنشئة، ونوع التنظيم المقترح لعمل المترجمين القائمين على بحث ومعالجة المعلومات.

لكي يقوم المركز (NVTC) بمهامه على أكمل وجه، حدد لنفسه أهدافا: أولاً، القيام بجمع واستخدام أفضل للترجمات الموجودة مسبقاً في وكالات الاستخبارات الأمريكية، ومن ثم توظيف فريق "لغويين" مؤهلين تأهيلاً عالياً من أجل إنشاء شبكة وطنية محمية مكونة من متخصصين بالتواصل بين الثقافات، وأخيراً، اكتساب وتطوير الأدوات التكنولوجية الفعالة للغاية لتحسين مستوى عمل "اللغويين" وجودة الترجمة القائمة على بحث ومعالجة المعلومات.

إن تنظيم العمل في وسط المركز مرن للغاية. يكمن العمل في الاستعانة بمترجمين "متفرغين" وبمترجمين "بعقود من الباطن"، وكلا الصنفين يوظفان تقريباً في كل مكان في البلد للعمل في وسط أجهزة مدنية مخصصة لهذا الغرض أو تحت إدارة عسكرية. ولأن هذه المنشآت مربوطة بالشبكة الافتراضية، فإن العمل ينبغي إنجازه في نفس المكان لأسباب سرية وأمنية في نفس الوقت .

---

[٢] هذا المفهوم هو عبارة عن نشاط متابعة معلوماتي يتم بصورة فورية بلغتين أو أكثر لإثراء نتائج البحث الوثائقي من خلال تعدد المصادر اللغوية. المترجم

لكن نقاط القوة عند مركز NVTC تتعلق بالوسائل المتوفرة لبلوغ أهدافه وبالمصادر التي ينوي تطويرها لإتمام مهامه التي تقوم على المتابعة متعددة اللغات. المترجم الإنسان ليس هو فحسب أساس هذه الوسائل، ولكن تسانده معدات مهمة (وثيقة باتريوت الأمريكية، أ ٢، هـ، ر، ٤٦٢٨).

فكرة "الدمج" مركزية في الوسائل الجديدة. هناك_ من جهة_ إرادة واضحه لدمج الوظائف الملقاه على وكالات حكومية متعددة في وسط نفس الجهاز الوحيد. ومن جهة أخرى، يميل مركز NVTC نحو دمج كل الجوانب التي تتعلق بمعالجة المعلومات متعددة اللغات واللغات الأجنبية في عملية واحدة. في الحقيقة، و بالرغم من أن الكلمة الرئيسة في اسم المركز هي "ترجمة"، فإن مهامه تشمل رسمياً "الاكتساب، والتسجيل، والترجمة، وتحليل المعطيات بصورة رقمية أو صوتية" (وثيقة باتريوت الأمريكية، أ، هـ ر ٤٦٢٨).

باختصار، يمكننا القول بأن الأمر يتعلق بوكالة مرموقة تقوم على المتابعة متعددة اللغات. المفهوم مبتكر لأسباب عديدة غير أنه يعاني من أدلجة مضرة.

الترجمة والوطنية على الطريقة الأمريكية

في وثيقة تقديم مركز NVTC، إن شعار المؤسسة الظاهر على الصفحة الرئيسة هو كالتالي: "اللغة في خدمة الوطن". وتبرز مقولة مدير المركز إيفرت جوردان : "إن الكفاءات في اللغات الأجنبية جوهرية لأمن الولايات المتحدة الأمريكية الوطني ولتفوقها التجاري والأكاديمي والسياسي عبر العالم".

الفكرة الجديدة التي ندركها بصورة جلية هي الرابط الواضح الموجود بين "الترجمة" و "الوطنية[٣]". علاوة على أن هذا المركز الفيدرالي هو نتاج وثيقة باتريوت الشهيرة، تجدر الإشارة إلى أن المترجمين الذين ينتمون لهذا المركز تم انتقاؤهم وفق معايير غامضة، والتي منها "الأخلاق"، و "الوطنية".

بالرغم من أنه ليس هناك رابط مباشر بين هذه المعايير والعمل اللغوي للمترجم ولا مع كفاءته المهنية، فهي تدخل في الحسبان وتشكل شروطا أولية لعمل المترجم لصالح "الأمة". والمصطلح يتم ترديده غالباً في الخطاب الرسمي وفي وثائق مركز NVTC. يظهر "اللغوي" قبل كل شيء على أنه "فرد من أفراد الأمة" عليه واجب خدمتها بكفاءاته اللغوية وأن يسهم بحمايتها بمهارته المهنية.

وبكل تأكيد، هذا "المترجم الذي يعمل لخدمه الأمة" هو خبير لغوي يتعامل مع وثائق حساسة، غير أنه ينبغي عليه خاصة أن يكون مقتنعاً بشرعية عمله بجانب الحكومة في "حربها ضد الإرهاب". علاوة على أن العمل المنجز، يتخذ موقفاً من وجهة النظر السياسية والعرقية.

الترجمة والنضالية السياسية

من جهة أنصار الحرب كما هو من جهة المسالمين المتمسكين بالسلم، تخدم الترجمة خدمة واسعة النضالية السياسية والدعاية الإيدلويجية.

واحد من الأمثلة الأكثر أهمية وتشويقاً التي شهدت بعض النجاح بمناسبة الحرب على العراق، هي حركة "المترجمين من أجل السلام". هي جمعية دولية للمترجمين من مختلف البلدان ومن جميع الجنسيات حددت لنفسها هدفاً رئيساً يقوم

---

[٣] انظر شعار مركز NVTC. المؤلف

على " نشر متى ما أمكن، بكل لغة وبكل الوسائل، كل مقال ضد الحرب بصورة عامة وضد اللجوء للحرب لحل الصراعات الدولية" (وثيقة التأسيس).

في بقية البيان، نرى الآتي: "يلتزم المترجمون من أجل السلام بتخصيص جزء من وقتهم لترجمة ونشر كل مشاركة مفيدة في نقاش الحرب، وخاصة كل معلومة تتعلق بنتائج الحروب التقنية الحديثة في مجال خسائر الأرواح البشرية، وفي مجال الأضرار على البيئة، وعلى الديمقراطية، وعلى حقوق الإنسان". (بيان روما في تاريخ ١٤ مايو ١٩٩٩م).

قبل بداية الحرب في العراق بعدة أشهر، انتشر بيان المعارضين لهذه الحرب انتشاراً كبيراً على شبكة الانترنت وكان يحمل توقيع آلاف المترجمين الذي يعملون لأجل السلام. فهو بيان حركة المترجمين من أجل السلام وحقوق الإنسان. كان الشعار الذي تبنته شبكة الموقعين: "نعم للترجمة، لا للحرب!". ذهبت العريضة من السويد في شهر يناير عام ٢٠٠٣م ومن ثم انتشرت في بقية الدول الأوروبية، دون أن تنجح في إجماع المترجمين الأمريكيين عليها الذين كانوا مع ذلك معنيين بشكل أكبر.

إن هذا البيان جدير بأن يُذكر لكونه يعرض رؤية وحجج أنصار الترجمة على أنها أداة سلام في العالم. النص بكامله الذي نذكره بالفرنسية يلخص ترجمة مجهولة لأفراد الشبكة، منشورة كما هي.

بيان حركة المترجمين من أجل السلام وحقوق الإنسان

"على مر التاريخ، تواصلت الشعوب فيما بينها بطريقتين رئيستين: من خلال الترجمة ومن خلال الحرب. عملهم المشترك معقد، ولكن يمكننا تأكيد أن الحرب هي نتيجة فشل وعدم قدرة على إقامة حوار، بينما الترجمة أداة تقوم على بناء جسور بين

الثقافات والديانات. فهي أكثر من تفريغ كلمات لغة في لغة أخرى، فهي العنصر الرئيس الذي يتيح لنا إثراء معرفتنا بالآخرين وتحويل مكتسبات ثقافات أخرى لفائدة مشتركة بين كل بني البشر.

إننا نعيش في عالم يعاني فيه آلاف الأشخاص من قتل المجاعة الخفي، وقتل المرض، والفقر، ويفتقر مليارات الأشخاص به إلى مدارس، ومستشفيات، ومنازل، وإلى أدنى الضروريات لكي يستطيعوا العيش بكرامة ويصلوا إلى سن الشيخوخة، إنه عالم لا يستطيع به أبداً جل الناس الوصول إلى كنوز المعرفة الإنسانية والعلمية ولا إلى الإرث التاريخي والأدبي، والفني للجنس البشري لأنه ليس لهم الحق في التعليم. في العصر الحاضر، من التجبر دائماً أن يشترك كل الرجال والنساء برغبة صادقة في محاربة أي مستقبل آخر مشترك.

أنشئت منظمة الأمم المتحدة في عام ١٩٤٥م لحماية أجيال المستقبل من آفة الحرب وللدفاع عن حقوق الإنسان الأساسية: العدل، والتقدم الاجتماعي، والحرية، وفق ما نصت عليه في مقدمة ميثاقها الدستوري. وبالرغم من حدودها، كانت منظمة الأمم المتحدة المحاولة الثانية للمجتمع الدولي، بعد فشل عُصبة الأمم ، لبناء عالم أفضل بعد ذعر الحربين العالميتين والمعاناة الناجمة التي يعجز اللسان عن وصفها. جهود هذه المنظمة، كما هي جهود المنظمة السابقة لها والكثير من المؤسسات والمنظمات الدولية القديمة منها والحديثة، الحكومية وغير الحكومية، "لم يكن أبداً قابلا للتصور دون مشاركة هؤلاء الآلاف من المترجمين المجهوليين الذي جعلوا ومازالوا يجعلون دائماً التواصل ممكناً في برج بابل وهو شعوب العالم".

إن قرار جورج دبليو بوش، رئيس الولايات المتحدة، بشن حرب ضد العراق لم يكن مبرراً على الإطلاق، بالتعاون مع آخرين من بينهم، توني بلير، رئيس وزراء

المملكة المتحدة، وجون هوارد، رئيس وزراء استراليا، وخوسيه ماريا أزنار، رئيس حكومة مملكة أسبانيا، وخوسيه منويل دورا باروسو، رئيس الوزراء البرتغالي، وسيلفيو بيرلسكوني، رئيس وزراء الجمهورية الإيطالية. ليس هناك أي بلد يمنح لنفسه حق فرض وجهات نظره بالقوة على هامش مؤسسات دولية مثل هذا القرار لا يقتصر على حرمان الأمم المتحدة من أي سلطة بصفتها منصة قد تجد بها الصراعات حلا، ولكنها تبيد تطورات هذه السنوات الماضية في مجال القانون الدولي والإنساني مثلما الحال على حد سواء للتطورات التي تستهدف تشكيل محكمة فعلية جزائية دولية تتمتع بصلاحيات قانونية للجرائم ضد الإنسانية.

إيقاف الحرب ضد العراق، وإيقاف الطريق الذي فتحته هذه الحرب لا يتعلق فحسب بالشأن السياسي، بل أيضاً بالشأن الحضاري. فلسنا بصدد مواجهة بين حضارتين، بل مواجهة بين الحضارة والهمجية الوحشية. في صفوف الهمجية الوحشية يصطف عدم التسامح، والتسلط، والقوات المُخلصة للأصولية الدينية، وقوات الضلال المنظمة والمشجعة للتجاوازات وانتهاكات حقوق الانسان، بل أيضاً الحكومات التي تمارس هذه التجاوزات وهذه الانتهاكات، والمسببة لها والتي تحميها أو التي تغض الطرف عنها مهما كان الحزب الذي تمثله هذه الحكومات.

في أيامنا هذه، تضع التطورات التكنولوجية في متناول أيدينا الامكانيات التي لم يكن بإمكاننا تصورها قبل ردح من الزمن. وللمرة الأولى في تاريخ البشرية، يتمتع العديد من سكان الأرض بوسائل ضرورية للبقاء على تواصل والعمل على قلب واحد. كما لم نرَ أبداً الكثير من ملايين الأشخاص يبدون رفضهم لمثل هذا الاتفاق. أضحت صرخة "لا للحرب" بوقاً في العالم أجمع. نريد الانضمام لهذا البوق بصفتنا مواطنين راغبين في الدفاع عن الميثاق الدستوري للأمم المتحدة والإقرار العالمي لحقوق

الإنسان. ولكن أيضاً بصفتنا مترجمين ومختصين في التحاور السلمي بين الثقافات، وعلى قناعة بأنه فحسب صوت الكلمات والحوار والتفاهم بين الرجال والنساء من مجتمعات وثقافات ومعتقدات مختلفة سيكون قادراً على شق الطريق الجدير بأن يقودنا نحو عالم أفضل و مستقبل أفضل للجميع".

قام بصورة خاصة بدعم هذه العريضة ونشرها طلاب الترجمة التحريرية والترجمة الفورية في جامعة برشلونة المستقلة في أسبانيا، الذين اجتمعوا في اجتماع عام من بداية ٢٥ مارس عام ٢٠٠٣م لمعارضة الحرب ورأس حركة الاحتجاج، قبل تأمين نشرها بين المترجمين في كل مكان في العالم.

وهيئات أخرى دعمت على استحياء هذه الحركة مثل الاتحاد الدولي للمترجمين (FIT)، غير أن قليلا من مدارس الترجمة في أوروبا كان نشطا خلال هذا الفصل المؤلم من التاريخ المعاصر، وما يثبت ذلك أن وعي الأهداف السياسية والإيدلوجية للترجمة بعيد كل البعد عن أن يتم إدراكه والأسوأ من ذلك، أنه قد يبدو أن الدور الذي يضطلع به المترجم على أنه محرك للسلام في العالم مبخس كلياً.

صمت قاتل...

يُعد الاتحاد الدولي للمترجمين (FIT) تجمعا لجمعيات مترجمين ومحررين وعلماء في المصطلحية. ويضم أكثر من ١٠٠ جمعية عضوا فيما يقارب ٥٠ بلدا. وتكمن أهدافه الأولى في دعم وتشجيع المهنية وتحسين أجواء ممارسة الترجمة. كما يسعى في دعم وتعزيز حقوق المترجمين وحرية التعبير في دول مختلفة.

تطلب الوقت لكي يتفاعل الاتحاد الدولي للمترجمين (FIT) الذي يقع مقره الرسمي، بالمناسبة، في "شارع الشهداء" في باريس، مع المجزرة التي لا سابق لها في

تاريخ البشرية التي وقع ضحيتها المترجمون في العراق. بكل تأكيد، كان هناك بيانات صحفية، منشورة عرضياً، غير أنه في الحقيقة لم يتم اتخاذ أي إجراءات ملموسة لإنقاذ المترجمين من المجزرة وهم الذين كانوا مع ذلك العنصر الأساسي في نشر الديمقراطية.وبإمكاننا سرد مانريد من الأسباب لهذا الصمت القاتل، وعدم الاكثرات الجلي، غير أنه في نظر تاريخ الترجمة، يبقى العراق مسألة ضمير. وفي جميع الأحوال، لا يستطيع أي شخص التفوه بأنه لم يكن يعرف، وبأنه كان يجهل ما كان يجري هناك، أمام مرأى الجيوش الغربية.

في شهر أغسطس عام ٢٠٠٥م، أدلى السيد صلاح علي رئيس مؤسسة حماية الحقوق الإنسانية للمترجمين العراقيين بشهادة مفصلة أمام المؤتمر الدولي للاتحاد الدولي للمترجمين (FIT)حيث قال حرفيا: "بكل وحشية فظيعة لا سابق لها في التاريخ يقوم السفاحون بنحر المترجمين بسكاكين غير حادة ويضعون الرأس المقطوع بجانب الجسد، ملصقين عليه قطعة من الورق مكتوب عليها **خائن** بحروف من الدم[٤]".

هذا كان الوضع خلال سنوات، والمترجمون العراقيون متهمون دائماً بالخيانة ويتعرضون للقتل بوحشية دون هوادة. منذ عام ٢٠٠٣م، فهم قد يكونون الأفراد المكروهون كرهاً كبيراً والأكثر عرضة للتهديد في العراق.

بمثابة رد فعل لهذا الوضع الجديد من نوعه في تاريخ البشرية، نشر الاتحاد الدولي للمترجمين في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٥ البيان الصحافي التالي: "رُويت أمثلة محزنة للمصير المأساوي للمترجمين العراقيين العاملين مع القوات الأمريكية إلى مفوضي المؤتمر الدولي للاتحاد الدولي للمترجمين الحاضرين في مدينة تامبير في فنلندا، خلال أول أسبوع من شهر أغسطس.

---

[٤] انظر المحضر المفصل لهذا الخطاب في نشرة ITI، عدد سبتمبر- أكتوبر عام ٢٠٠٥م، صفحة ١٥. المؤلف

في منطقة الموصل وحدها، تم اغتيال عشرة لغويين. وغالباً ما تكون هذه الاغتيالات بسلاح أبيض في وسط ظروف شنيعة، وأحياناً تكون مسبوقة بانتهاك. دائماً يكون المترجمون وذووهم هدفا الإرهابيين المعارضين لكل نوع من أنواع التعاون مع القوات الأمريكية والأجانب بصورة عامة. حتى لقد كانت هناك تهديدات في مناسبة مراسم التشييع. فعندما لا يكون باستطاعة الإرهابيين السيطرة على ضحاياهم، فإنهم يهاجمون أفراد أسر الذين تعرضوا للاغتيال أو الاختطاف. اضطر مترجمون إلى اللجوء للاختباء أو إلى الهجرة، في حين أن آخرين اختفوا. وبعض الناجين من هذه الاعتداءات أصيبوا بإعاقة مدى الحياة. ويضاف هؤلاء الضحايا إلى عدد المترجمين الكبير من القتلى أو الجرحى في هجوم بالأكمنة، بينما هم برفقة دوريات عسكرية أو ممثلي وسائل إعلام".

الوصف المجمل المعطى عن الوضع في العراق هو بالفعل يحاكي إلى حد ما الواقع. غير أنه من المؤسف أن الاتحاد الدولي للمترجمين يكتفي بالتذكير بالمبادئ العامة التي انتهكت منذ زمن طويل: "إن هذا الغياب للحماية يشكل تقصيراً فادحاً لحقوق العمال التي نص عليها الإقرار العالمي لحقوق الإنسان."

يكشف البيان الصحفي جيداً عن الغموض في أنظمة "اللغويين" الذين تم توظيفهم بعقد خاص في العراق ويقومون بأعمال تخدم المصلحة العامة، غير أن هذا البيان لا يلفت الانتباه إلى كذب الخدعة القانونية التي وجدتها قوات التحالف لتوظيف مترجمين عراقيين دون أن يلتزموا في المقابل، بأي شيء و لا يصرح البيان أيضا باللعب الجليّ على الحبلين للحكومة الأمريكية التي تستعين بشركات خاصة لأداء مهام ذات طابع عسكري:

"إن عمل هؤلاء المترجمين الفوريين والتحريريين لصالح متعهدين من الباطن مثل شركة Titan عوضاً عن العمل لصالح الجيش أو الحكومة الأمريكية لا يعفي السلطات من مسؤوليتها تجاه هؤلاء المترجمين".

تكشف نهاية البيان الصحفي عن أمنيات دينية ولا تمثل بأي حال من الأحوال ردة فعل لحجم خطورة الوضع: "يحث الاتحاد الدولي للمترجمين الحكومة الأمريكية والسلطات العراقية على تحمل مسؤولياتهما وتقديم حماية كافية لهؤلاء العمال الذين يقومون بتأمين رابط لاغنى عنه بين المجموعات المتعهدة في توطيد الديمقراطية في العراق، وتقديم مساعدة ضرورية للضحايا وأقاربهم."

ينبغي أيضاً الانتظار سنتين لنشهد٥٠٠ قتيل زيادة على ذلك من بين "اللغويين" لكي يضع الاتحاد الدولي للمترجمين مكانة مشرفة للمأساة العراقية. في عام ٢٠٠٧م، كان شعار اليوم العالمي للترجمة: "لا تطلقوا النار على المترجمين!"

غير أن الدخول في صلب الموضوع مخيب للآمال: هل نحن بحاجة إلى أن نتكلم عن أخطاء بيرلسكوني عن "تفوق الغرب" لندعو إلى إيقاف المجازر في العراق؟ يتناول نص البيان الصحافي المشكلة من جهة ضيقة، بينما الوضع يعاني من الحرب والمجازر منذ أربع سنوات:

"بعد كلمات بيرلسكوني المخزية، انتهض البرلمان محتجاً، ولكن السيد برلسكوني، بالرغم من مداخلات الدبلوماسيين رفيعي المستوى الطارئة، تكرم بتقديم اعتذاره..وبطبيعة الحال، سعينا لأن نحيي المترجم أو بالأحرى في هذه الحالة المحددة المترجم الفوري. وبرقية وكالة الصحافة تسرد إيضاحات السيد بيرلسكوني: "لم يكن المقصد من كلامي الإهانة، فالأمر يتعلق بمزحة تحمل معنى السخرية، وربما أن الترجمة لم تعطِ معنى هذه السخرية".... صرح الناطق الرسمي باسم قصر الكرملن

لقناة بي بي سي (BBC)، أن الرئيس كان يمزح: "اللغة الروسية لغة معقدة للغاية وأحياناً تكون صعبة جداً من ناحية الصياغة . أشك أن الترجمة قادرة على إعطاء المعنى لهذه المزحة". هذه القصص، مثل الكثير غيرها، تنتمي لقائمة طويلة من غلطات رجال السياسة التي تُلقى باستمرار على ظهر المترجم التحريري أو المترجم الفوري لحفظ ماء الوجه. غير أننا لسنا مغفلين، فالمترجمون لا يعيرون اهتماماً لذلك، والحياة مستمرة. غير أن أرض التاريخ تعج بجثث "المترجمين الشهداء"، فالمهن اللغوية أصبح خطرها متزايدا. في بعض مناطق العالم، يخشى المترجمون التحريويون والفوريون الموت بمجرد ممارسة بسيطة لمهنتهم. لقي حوالي ٢٦١ مترجم تحريري وفوري مصرعهم في العراق خلال عام ٢٠٠٦م، وآخرون كثيرون غيرهم قتلوا في أفغانستان. في مكان آخر، يُزج بمترجمين في السجن أو يتعرضون للتهديد لأنهم أقدموا على ترجمة أعمال بعض المؤلفين مثل سلمان رشدي. حتى أن واحدا منهم تم اغتياله. فالترجمة مهنة تشكل مخاطر. يقع على عاتق المترجمين مسؤولية كبيرة في دورهم بوصفهم وسطاء لغويين وثقافيين. إذا حدث سوء فهم خلال الترجمة، فنتائج ذلك قد تكون وخيمة دون وجود هؤلاء الخبراء في الترجمة التحريرية، والترجمة والفورية، وعلم المصطلحية، لم يعد بإمكاننا أن نتفاهم في قريتنا الكونية.

من المترجم التحريري الذي يعمل في منطقة قتال إلى جانب جنود إلى المترجم الفوري الذي يهمس في أذن مسؤول صاحب رتبة عليا أجنبي، من المترجم الذي يقوم بترجمة مرئية لتحقيق صحفي على التلفاز إلى المختص الذي يترجم دليل صيانة سيارتكم القادمة، فالعمل المهني للغة يظهر في شتى المجالات، في جميع أرجاء المعمورة. في كل مكان، شركاتنا يزداد اعتمادها أكثر فأكثر على خدمات الذين يجعلون من اللغات مهنة لهم. يعرف زعماء العالم العظماء أن المترجم ليس كبش فداء مستعداً

لأن يطلق عليه النار متى ما ساءت الأمور. بل على النقيض من ذلك، يعرفون القيمة الحقيقية للمترجم ويعرفون أن بعد النظر المتمثل في أسئلته وتعليقاته يسهم في تشكيل رسائل (مكتوبة أو شفهية) واضحة ومذهلة، وبذلك فهو يشرف صورة وسمعة المنظمات التي ترعى المترجمين."

غير أن هذا النص الثري في صياغته يتطلب بعض التوضيحات:

أولاً: استخدام التعبير "مترجمين شهداء" في هذا البيان الرسمي مشتبه به وليس في محله. حسب علمنا، ليس هناك أي إثبات مكتوب ولا شفهي لأي سلطة كانت تمنح لقب "شهيد" إلى أي مترجم في العالم. إذا كان ذلك مجازاً، فهو إساءة لاستخدام اللغة ومن المؤسف خاصة في السياق الإسلامي حيث المفهوم محل نقاش شرس. إذا كان ذلك المقصد منه إضفاء قداسة مزعومة على ضحايا الترجمة، فالنية حسنة غير أنه قد يكون لها نتائج عكسية وهذا لا يؤدي إلى تركيز هجمات الجماعات الأكثر تطرفاً على المترجمين الذين يُعَد تعاونهم مع "المحتل" أو "العدو الكافر" مثل الخيانة القصوى ويشبه ارتدادا عن الدين.

ثانياً: خلط المهام التي يقوم بها المترجم وتفاوت الأخطار الناجمة في كل سياق ترجمة لا ينصف الذين يناضلون فعلياً من أجل الحرية مقابل حياتهم الخاصة. خاصة وأن من غير المقبول عمل تقارب، في جملة واحدة، بين المترجمين "الذين يعملون في منطقة قتال بجانب الجنود"، وبين "الذين يترجمون دليل صيانة سيارتهم القادمة". إذا كان هناك مقياس للقيم ينبغي إقامته، فهو يكمن على مستوى طبيعة العمل المناط به المترجم، وخاصة "غايات" هذا العمل.

ثالثاً: إن تعريف المترجم بأنه"وسيط لغوي وثقافي" مجرد تلطيف مشوه لم يعد يبين الأهمية الكبيرة لدور "اللغويين" العاملين في منطقة قتال. لم يعد هناك البتة وساطة

ممكنة في وقت الحرب. الذين يعيشون يومياً العنف في العراق وفي أفغانستان يعرفون ذلك حق المعرفة: أضحى المترجم - شاء أم أبى - إنسانا يعمل لجانب قوات مسلحة تدفع له وتجنده كرهاً ، كل شيء يعتمد على الفريق الذي يوجد به. في الميدان العسكري، لا يقوم إلا بنقل أوامر وتطبيق أجندة سياسية تتجاوزه بمراحل وهو واحد من أدواتها. كيف تتم رؤية الوساطة بمجرد استخدامها أداة وغالباً ما تكون متهمة بالخيانة؟

وأخيراً، يعتاد رجال السياسية في الحقيقة على إلقاء أخطائهم على عاتق المترجمين الذين يخدمونهم مع ذلك بكل أمانة وإخلاص. غير أنه من هنا ينبغي طرح قضية الاغتيالات الكثيرة للمترجمين في العالم بطريقة من طرق المداعبة والسخرية، ينبغي التجرؤ... أليس كذلك، لا ينبغي على المترجمين "هز أكتافهم غير مبالين، وأن الحياة مستمرة"! ينبغي عليهم أن يتفاعلوا بحزم وبعنف ليظهروا سخافة وأحياناً تفاهة السياسيين الذين يستخدمونهم في نفس الوقت وجاهة ورفعة مكانة وأكباش فداء. ربما ليس المترجم ساذجاً، ولكن السذاجة، لسوء الحظ، بشكل جيد في وسائل الاعلام. الأدلة لدعم ذلك في اللغة الفرنسية.

المترجمون الفوريون يتحملون – ظلماً – مسؤولية الأخطاء.....

في بداية شهر ديسمبر عام ٢٠٠٦م، كانت المرشحة الاشتراكية في الانتخابات الرئاسية، سيقولن رويال، في زيارة إلى لبنان. وقابلت نواب المجلس الوطني اللبناني. قال نائب حزب الله علي عمر في حضورها وباللغة العربية نصا: "إن النازية التي سفكت دمنا والتي استنزفت استقلالنا وسيادتنا ليست أقل سوءا من النازية التي احتلت فرنسا ".

هذه الجملة التي هي جزء من خطاب طويل، ترجمها إلى اللغة الفرنسية مترجمتان، مترجمة للمرشحة الاشتراكية والمترجمة الأخرى للصحافيين الفرنسيين المرافقين لها. سمع العديد من الصحافيين الفرنسيين المتواجدين في القاعة كلمة النازية التي ذكرها نائب حزب الله مرتين في اللغة العربية، دون أن يكون هناك ردة فعل من قبل سيقولن رويال.

في اليوم التالي أعربت المرشحة الاشتراكية أمام الأنباء في بيروت مبررة عن غياب ردة فعل من جهتها بأنها لم تسمع هذه الصفة المذكورة بالعربية. فضلاً عن ذلك، فهذا منطقي جداً لأنها لا تتكلم العربية على الإطلاق، حتى لو كانت الكلمة نسخا مباشرا من الفرنسية.

أكدت وزارة الخارجية الفرنسية أنه ليس لديها أي تسجيل للكلام في بيروت الذي ذكره نائب حزب الله ولا للترجمة التي نُقلت لـ سيقولن رويال. غير أنه في أعقاب ذلك، تشكك الوزارة في مصداقية عمل المترجمات المتواجدات في ذلك اليوم، بتصريحها: "كانت الترجمة الفورية تتم بطريقة غير رسمية عن طريق عدة أشخاص، دون أن يكون هناك *تجهيزات معينة*، ولا تسجيل للكلام". (تصريحات الناطق الرسمي باسم الوزارة).

المثال جاء في وقته. نظرة عامة للبون الشاسع بين الواقع والبلاغة :

"في عام ٢٠٠٧م، اختار الاتحاد الدولي للمترجمين موضوعا لليوم العالمي للترجمة هذا الشعار: "لا تطلقوا النار على المترجمين" لكي يلفت الانتباه ليس فحسب للأخطار التي يقع ضحيتها المترجمون في العالم. بل أيضاً للأخطار التي يتعرض لها من يرى أن خدمات الترجمة المهنية هي خيار ثانوي. الاستعانة بمهنيين يعني أن الرسالة سوف تُنقل بحذافيرها مهما كانت اللغة المستخدمة".

الترجمة والسلطة السياسية

لكي يُسمع الرجال السياسيون في "القرية العالمية"، فإنهم بحاجة لترجمة، وأحياناً فورية، لتصريحاتهم أو لخطاباتهم. ليس هناك شك في انخراط المترجمين في عملية عولمة الخطاب السياسي، بحيث أصبح السماع يزدادعن تدخلهم في الحوادث المفاجئة للسياسة الدولية.

لكن، لا ينبغي أن يغيب عنا موضوع أن المترجمين يتدخلون من الجهتين من السلطة: من جهة السلطة القائمة، محلية كانت، أو مناطقية، كما هو من جهة المعارضة: سلمية كانت أو مسلحة، حسب القارات والدول. كل فريق يستعين بالمترجمين لنقل أفكاره، ومواقفه الخاصة به.

من جهه أخرى، يعد المترجمون حاملين رئيسين للمعلومة متعددة اللغات وناقلين للأخبار الواردة من جميع أرجاء العالم. يستقبلون ويترجمون باستمرار لبرقيات وكالات الأنباء، وبذلك يسهمون في نشر المعلومة وتشكيل الرأي الدولي. هذا الدور المتنامي الذي يضطلع به المترجمون الفوريون والمترجمون التحريريون في المقام الأول يتطلب تفكير ناقد بسبب أهميته والصدى الإعلامي الذي يتلقاه. الشاهد على ذلك كلام الرئيس ساركوزي.

في الثالث عشر من شهر فبراير عام ٢٠٠٨م، خلال زيارة رسمية ومصورة بكاميرات الفيديو في معرض الزراعة في باريس، صافح نيكولا ساركوزي الجماهير الحاضرين في المعرض، وعندما رفض واحد منهم أن يصافحه وقال: "لا تلمسني، أنت! فإنك توسخني". رداً على هذه الشتيمة، رد ساركوزي بشتيمة أخرى انتشرت في العالم: "أغرب عني، يامسكين يا أحمق". ها هو باختصار السياق العام لهذا التبادل اللطيف.

من صباح اليوم التالي، جملة الرئيس نقلتها وسائل الإعلام الدولية، ليس باللغة الفرنسية بطبيعة الحال، ولكن بنسخة مترجمة في كل لغة من اللغات.

في الولايات المتحدة، صحيفة نيويورك تايمز ذكرت الشتيمة بالطريقة التالية: «you total jerk، then get out of there» وتعني حرفياً "اغرب عني، أنت بالفعل أبله». الترجمة نفسها مذكورة في برقية الوكالة الدولية associated press.

في المملكة المتحدة، صيغتان للشتيمة متاحتان في نفس الوقت. الأولى نسخة مجلة التايمز الملطفة جداً : «P*** off، stupid sod»، تعني حرفياً: "اذهب إلى ***، يا مغفل». والصيغة الثانية هي صيغة قناة بي بي سي (BBC)، المهذبة جداً مقارنة بالصيغة الأصلية: «Get lost then you bloody، just get lost!»، تعني حرفياً: "انصرف عن وجهي، يا بليد فخور بنفسه!".

نلاحظ نفس الظاهرة في اللغة الأسبانية مع وجود صيغتين متنافستين: واحدة أوربية، والأخرى من أمريكا الجنوبية. في الحقيقة، الصحيفة الأسبانية البايس أصدرت صيغة جنسية جداً، تعني حرفياً: "اختف من هنا، يا مسكين يا بليد[٥]". وعلى العكس من ذلك، الصحيفة الأرجنتينية كلارين فضلت استخدام ترجمة أكثر حيادية وأكثر أناقة، تعني حرفياً : "ارحل، يا متخلف عقلياً".

وأخيراً في ألمانيا، مجلة دي ويلت أعطت ما هو مقبول، اختارت ترجمة تعبير قلما يستخدم، وتقريباً شرب الدهر عليه وأكل، ويعني حرفياً: "اغرب عني، أنت و وجهك البليد".

بكل تأكيد، إن إعادة الترجمة مرة أخرى للفرنسية ذات قيمة توضيحية بحتة. هناك ترجمات أخرى في لغات العالم الرئيسة، ولكن فضلنا الاكتفاء بهذه الأمثلة

---

[٥] استخدمت الصحيفة Couillon وتعني حرفياً خصية الرجل، وتستخدم شتيمة بمعنى البلادة. المترجم.

لإبراز غايات الترجمة، حتى لو كان الأمر يتعلق بترجمة شتائم أو ألفاظ شاذة عن الاستخدام العام. في خلفية الأحداث، ترتسم الصورة المشهور بها الشخص والفكرة التي صنعها المتلقون الأجانب من خلال اللفظ المترجم. فوراء الكلمات، يظهر ما ترمز له الفكرة والصورة الذهنية. ناهيك عن أن هذه الترجمات لم تساعد في تحسين صورة الرئيس ساركوزي في الخارج.

نتوصل إلى النتيجة الأساسية وهي أن الترجمة مهنة "أخلاقية" قبل كل شيء وأنه ينبغي على المترجمين مراجعة رؤيتهم للعمل السياسي والاجتماعي. من وجهة النظر هذه يستحيل إهمال قضية الأجر الحاضرة في جميع العقول غير أنها نادراً ما تُناقش من وجهة نظر مهنية وأخلاقية. المهم في هذا الموضوع يعود لطرح موضوع أمانة وإخلاص المترجم. بعبارة أخرى، هل ينبغي عليه "طاعة" من يدفع أم ضميره المهني؟ هل ينبغي عليه خدمة التوجهات السياسية لرب العمل أم يفضل حيادية المعلومة؟ باختصار، هل أمانة المترجم وإخلاصه قابلان للتفاوض والنقاش؟

تعلمنا التجربة الأمريكية في العراق_ في هذا الشأن_ أن المال ليس ضماناً من الخيانة، وليس ضماناً للأمانة والأخلاص. رأينا مترجمين يتقاضون رواتب ملوك ويخدعون بمحض إرادتهم من يدفعون لهم، وأحياناً، حتى إنهم يغيرون انتماءهم ليصبحوا مترجمين فوريين للخصم. في بعض الحالات، استعمل الأكثر تطرفاً من المترجمين أجورهم لتجهيز حوادث انتحارية ضد زملائهم الخاصين.و مجمل القول : إن من الواضح في وقت الحرب أن الإيدلوجيا أقوى من المال.

لكن نعرف أيضاً أن المال كان المصدر الرئيس للتوجهات عند المترجمين الأمريكيين الذين عملوا بجانب قوات التحالف. كما أن هذا الحافز الوحيد للذين لم يتسيسوا البتة. من وجهة النظر هذه يلاحظ أن المال قد يفسد أجمل الأفكار ويضل أنبل

القيم. كان هناك من المُعذبين في العراق مترجمون فوريون يتقاضون رواتب يغبطون عليها، ولكن هذا لم يمنعهم من السرقة ولا من الانحراف. كما كان هناك من المستغلين بالحرب معاونون يتقاضون رواتب مجزية، غير أن هذا لم يردعهم عن استغلال وظيفتهم ليكسبوا المزيد من المال. بذلك، نصل إلى الانتهاكات الأولية.